مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة:2020 الصفحة: 82–122 تاريخ النشر: 25–03–2021

التقديم والتأخير في تفسير ابن عطية الأندلسي، دراسة وصفية دلالية

The advance and delay in the interpretation of ibn attia andalusian, descriptive and semantic study

الطالب سفيان رضوان صالح
com. redsofiane2014@gmail
أ.د محمد خليفاتي
mkhelifati84@gmail.com
جامعة المدية

تاريخ الإرسال: 2020/07/01 تاريخ القبول: 2020/12/09

الملخـــص:

يُعد مبحث التقديم والتأخير، من أهم المباحث البلاغية التي لاقت عناية واهتماما بالدراسة قديما وحديثا، وأنا في هذا البحث مزجت بين ما كتبه المتأخرون وطبقته على ما كتبه المتقدمون، وقد اخترت مدونة من منطقة طالما وُصفت بأنّها لم تعن كثيرا بالجانب البلاغي، وهذه المدونة هي تفسير ابن عطية الأندلسي، الذي يُعد من أعمدة التفاسير الأندلسية، ويهدف البحث إلى استخراج مواطن التقديم والتأخير من هذا السفر العظيم، مع ذكر دلالة ذلك عند مؤلفه، ويهدف البحث أيضا إلى الوقوف على درجة تمكن ابن عطية من علم البلاغة، وهل درس هذا المبحث من منظور بلاغي أم نحوي؟، وقد سلكت المنهج الوصفي التحليلي؛ لأنّه أوفى بالدراسة، وقد خرجت من خلالها على أنّ ما يُنقل عن التفاسير الأندلسية من عدم الاهتمام بالجوانب البلاغية، صحيح نوعا ما في بعض الجوانب.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة:2020 الصفحة: 82–122 تاريخ النشر: 23–03–2021

الكلمات المفتاحية: المحرر الوجيز، ابن عطية، علم المعاني، التقديم والتأخير، كتب التفسير.

Abstract: Out of all rhetoric topics the advance and delay have received attention and interest in studying, in the past and in recent times. In this research, I mixed what was written by later scholars and applied it to what was written by the earlier scholars I chose a blog from the region that it has always described as not being very concerned with the rhetorical aspect, This blog is the interpretation of Ibn Atiyah Al-Andalusi Which is one of the most important Andalusian explanation of the Holy Qur'an, This study aims to treat the situations of advance and delay in this great blog with the indication of its meaning The research also aims to stand on the degree to which Ibn Atiyah was able to reach in rhetoric, and if this topic has studied from a rhetorical or grammatical perspective?

I used the descriptive and analytical method because it is more worthy, and I came out through it that what is transmitted from Andalusian explanations- of the Holy Qur'an- as the lack of interest in the rhetorical aspects is correct in some way.

Keywords: almoharar el Wadjiz ، ibn attiya, semantics, the advance and the delay, interpretation books.

1. المقدمـــة:

لطالما وأنا أقرأ وأبحث في تفسير ابن عطية شدّ انتباهي قلة توسعه بالجوانب البلاغية، وكان يمر عليها بإيجاز كبير!، وإنّ المتتبع لكتب التفسير في المغرب الإسلامي،

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة:2020 الصفحة: 82–122 تاريخ النشر: 23–03–2021

ليجد أنّ هذا الصنيع هو دأْب المفسرين المغاربة والأندلسيين عموما!، الذين لم يعنوا بالبلاغة أو إعجاز القرآن عناية بالغة، كما هو الشأن في علوم اللغة الأخرى، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى أنّ هذه العلوم نشأت في المشرق، وتوفر المشارقة على درسها وشرحها والتأليف فيها، في حين كان المغرب أقل شأنا من المشارقة في هذا الميدان، وهذا ما أكده اِبن خلدون حيث قال: "وبالجملة فالمشارقة على هذا الفن، أي علم البيان[1]، أقوم من المغاربة، وسببه، والله أعلم، أنّه كمالي في العلوم اللسانية، والصنائع الكمالية توجد في وفور العمران، والمشرق أوفر عمراناً من المغرب، كما ذكرناه، أو نقول لعناية العجم، وهم معظم أهل المشرق، كتفسير الزمخشري، وهو كله مبني على هذا الفن وهو أصله"[2]، ولكن مع كل هذا النقص!، فقد وجدت في تفسير اِبن عطية إشارات إلى بعض المباحث البلاغية، المتعلقة بعلم المعاني[3]، وخاصة التغييرات التي تتعرض لها الجملة العربية،

[1]– بعضهم يُطلق علم البيان ويريد به علم البلاغة!، كما هو اِصطلاح اِبن خلدون في كلامه، وبعضهم يُطلق هذا المصطلح قاصدا به أحد أقسام البلاغة الثلاثة، الذي يحوي التشبيه والإستعارة والمجاز والكناية، إذ من المعلوم أنّ البلاغة على ثلاثة أقسام، على ما قرره السكّاكي وغيره: علم المعاني، وعلم البيان وعلم البديع.

[2]– عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، دمشق، الطبعة الأولى، 1425هـ/2004م، ج2، ص375.

[3]– هو أحد أقسام البلاغة الثلاثة، ويُعرف بأنّه: "علم يُعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يُطابق مقتضى الحال". جلال الدين القزويني الشافعي، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثالثة، 1953م، ج1، ص52. والمقصود بأحوال اللفظ هي الأمور تعرض له من تقديم وتأخير وتعريف وتنكير. والخبر والإنشاء والحذف والذكر والفصل والوصل والايجاز والإطناب والمساواة، وخروج الكلام عن مقتضى الظاهر إلى غير ذلك من

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة:2020 الصفحة: 82–122 تاريخ النشر: 23–03–2021

التي يتحملها التعبير عن المعاني المختلفة، والتي رأيت له فيها كلاما نفيسا يُنبئ عن علو كعب الرجل واجتهاده!، يحتاج الدارس إلى الوقوف عنده ومعرفة دلالته، وقد اِخترت من هذه المباحث، ما تعلق بدلالة التقديم والتأخير؛ ذلك أنّه كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، والبحث في مجمله يهدف إلى بيان درجة تمكّن اِبن عطية من علم البلاغة، وخصوصا معرفة أكان مُكثرا من الإشارة إلى مواضع التقديم والتأخير أم لا؟، وكيف تعامل معها؟، الأمر الذي يؤدي بنا إلى اِستخراج الأغراض البلاغية التي ذُكرت في تفسيره، وهل تعامل معها نحويا أو بلاغيا؟ وكفرضية لهذا البحث، تبدو نظرة المفسر مختلفة عن نظرة النحوي أو البلاغي، إذ غالبا ما يمزج المفسر بين ما درسه النحويون والبلاغيون، إذ يشترط في المفسر أن يكون ذا باع في علم العربية، وبالتأكيد، سنخرج إلى غلبة جانب منهما على المفسر!.

وقد جاء هذا المقال في مبحثين، بين مقدمة وخاتمة، فالأول نظري: ذكرت فيه مكانة التقديم والتأخير في علوم العربية، وكذا التعريف بهما، وإعطاء لمحة تاريخية عنهما،سواء أكان ذلك لدى النحويين أم البلاغيين، مع ذكر أنواعهما، والثاني تطبيقي: وقفتُ فيه على مواطن التقديم والتأخير في تفسير اِبن عطية، مع ذكر قوله فيهما، ودلالة التقديم والتأخير في الآية عنده، إلى جانب ذلك، ذكر دلالاتٍ أخرى، قيلت في الآية إن وُجدت، مع اختيارنا للقول الراجح من هذه الأقوال.

2. الجانب النظري: ماهية التقديم والتأخير، واختلاف نظرة العلماء إليه.

1.2 مكانة التقديم والتأخير

الموضوعات. يُنظر: أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، دار نهضة مصر، القاهرة، 1978م، نسخة pdf، ص31.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة:2020 الصفحة: 82–122 تاريخ النشر: 23–03–2021

يُعتبر مبحث التقديم والتأخير من أكثر المباحث البلاغية التي نالت اِهتمام علماء المعاني[1]؛ ذلك الاِهتمام الذي تجلى في رصدهم لصور التقديم والتأخير المتعددة، وما تؤديه كل صورة من قيمة دلالية، أو تأثيرية، مضافة إلى المعنى الأساسي للعبارة، وقد جعل النحاة للكلام رُتبا، بعضها أسبق من بعض، فرتبة المبتدإ مثلا، قبل رتبة الخبر، ورتبة الفاعل قبل رتبة المفعول، ورتبة المفعول الأول، قبل رتبة المفعول الثاني، وهكذا، فإن جئت بالكلام على الأصل لم يكن من باب التقديم والتأخير، وإن وضعت الكلمة في غير مَرتبتها، دخلت في باب التقديم والتأخير[2]، فهذا تصور كلي عن التقديم والتـــأخير، فماذا عنه في اللغة والاِصطلاح؟.

2.2 التقديم والتأخير لغةً.

التقديم من قدَّم، مفتوح العين، إذ القاف والدال والميم أصل صحيح، يدل على سبق ورعف، ثم يفرع منه ما يقاربه[3]، والقدَم، محركة: السابقة في الأمر[1]، وأمّا التأخير

[1]– نقول هذا، لأنّ بعض العلماء عدّه من المجاز!، كما نقل ذلك الزركشي حيث يقول:" وقد اُختلف في عده من المجاز، فمنهم من عده منه؛ لأنّه تقديم ما رتبته التأخير، كالمفعول، وتأخير ما رتبته التقديم، كالفاعل، نقل كل واحد منهما عن رتبته وحقه، والصحيح أنّه ليس منه، فإن المجاز نقل ما وضع له إلى ما لم يوضع". بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، 1376 هـــ/ 1957م، ج3، ص233.

[2]– موسى إبراهيم، تأملات قرآنية، دار عمان، الأردن، الطبعة الثانية، 1989م، نسخة pdf، ص152.

[3]– يُنظر: أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، 1399هـــ/1979م، ج5، ص65.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة:2020 الصفحة: 82–122 تاريخ النشر: 23–03–2021

فعّرفه أكثر اللغويين بضده، حيث قال عنه الراغب: "والتأخير مقابل للتقديم، قال تعالى: بِما قَدَّمَ وَأَخَّرَ"[2]، فالتقديم والتأخير في اللغة متناقضان، حيث يُعْنى الأول بوضع الشيء أمام غيره، وقد كان خلفه، ويُعْنى الثاني بوضع الشيء خلف غيره، وقد كان أمامه.

3.2 التقديم والتأخير اِصطلاحا

عرّفه الطوفي بقوله: "هو جعل اللفظ في رتبةٍ قبل رتبته الأصلية أو بعدها؛ لعارض اِختصاص، أو أهمية أو ضرورة"[3]، وعرّفه الزركشي بقوله: "هو أحد أساليب البلاغة، فإنّهم أتوا به دلالة على تمكنهم في الفصاحة، وملكتهم في الكلام وانقياده لهم وله في القلوب أحسن موقع وأعذب مذاق"[4]، فيما عرّفه الجرجاني بقوله: "هو باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفترُّ لك عن بديعة، ويُفضي بك إلى لطيفة"[5].

---

[1]– مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، القاموس المحيط، تحقيق: محمّد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الثامنة، 1426هـ /2005م، ج1، ص1147.

[2]– الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، 1412هـ، ج1، ص69.

[3]– سليمان الطوفي، الإكسير في علم التفسير، تحقيق: عبد القادر حسين، دار الأوزاعي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1989م، ص189.

[4]– بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص233.

[5]– أبو بكر عبد القاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1413هـ/ 1992م، ص106.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة:2020 الصفحة: 82–122 تاريخ النشر: 23–03–2021

ومن هذه التعريفات نستخلص: أن ّالتقديم والتأخير، من الظواهر البلاغية التي تقوم على مخالفة أصل الوضع في الجملة العربية!؛ لترسم لنا صورة معبرة تزيد من جمالية المعنى ورونقه، فـــ"لا يتقدم الخبر على المبتدإ جزافا واعتباطا، بل يعمد اللسان العربي إلى ذلك؛ لتحقيق دلالات لا يُحققها التركيب المنطقي، الذي وضعه النحاة للتركيب"[1].

4.2 نظرة النحويين والبلاغيين إلى التقديم والتأخير

لقد عني المتقدمون بهذا الأسلوب البلاغي منذ زمن مبكر، إذ يُعد سيبويه أولَ من تكلم فيه!، حيث يقول عنه:" ...كأنّهم إنَّما يقدّمون الذي بيانه أهم لهم، وهم ببيانه أعنى، وإن كانا جميعا يُهِمّانهم ويَعْنِيانهم"[2]، وسمّاه اِبن جني مع أبواب أخرى بـــ: "شجاعة العربية"[3]، وهذا لما يُولِه من معان بلاغية، في حين حظي هذا الأسلوب عند الجرجاني وأفاض فيه بدراسة متميزة![4]، وصلت إلى إحدى وأربعين صفحة، نبّه من خلالها إلى مكانته في البلاغة، وعزا الفضل في جمال الكلام، وحسن تأثيره في المتلقي، إلى

[1]– رُسْل عباس محمّد شيروزة، البحث الدلالي في تفسير ابن عطية، رسالة ماجستير، جامعة الكوفة، العراق، ربيع الأول، 1432هـــ/ 2011م، ص123.

[2]– عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1408هـــ / 1988 م، ج1، ص34.

[3]– يُنظر: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، 1371هـــ/1952م، ج2، ص360.

[4]– حيث كان العلماء قبل عبد القاهر الجرجاني، يتحدثون عن التقديم والتأخير حديثا عاما، حيث كانت عبارتهم تدور في فلك واحد، وذلك في قولهم: "إنّما يُقدم الشيء للاهتمام به". يُنظر: فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، دار الفرقان للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الرابعة، 1417هـــ/1997م، ص210.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة:2020 الصفحة: 82–122 تاريخ النشر: 23–03–2021

جمال نظمه، إذ يقول: "هو باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة"[1]، ووصفه اِبن الأثير أنّه: "باب طويل عريض، يشتمل على أسرار دقيقة"[2]، وقد تابع الزملكاني الجرجاني في عدّ سبب التقديم والتأخير في الكلام، تبعا لمعناه في القلب، حيث قال: "التقدم في اللسان تبع للتقدم في الجنان"[3]، معنى هذا أنّ أي تغيير في بنية التركيب؛ يأتي لتحقيق غرض جديد، يتعلق بالبنية الداخلية المرتبطة بالمعنى في ذهن المتكلم، إذ أي تحوّل في مباني التراكيب، يحدث تغييرا في المعنى[4].

فهذه نظرة البلاغيين والنحويين إلى التقديم والتأخير، وكما نلاحظ، فلا تختلف نظرتهما كثيرا إلى هذا المبحث!، فهذا سيبويه نجده في كثير من المواضع يشير إلى الأسرار البلاغية، كاشفا أهميتها، دون التوسع فيها، وتبعه في ذلك أكثر النحاة، في حين يقرر عبد القاهر أنّ البلاغة، حاجتها إلى علم النحو ماسة وضرورية، حيث يقول: "الألفاظ مغلقة على معانيها، حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها، وأنّ الأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها، وأنّه المعيار الذي لا يتبين نقصانُ كلام ورجحانُه، حتى

[1]– عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص106.

[2]– أبو الفتح ضياء الدين ابن الأثير الكاتب، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، 1420هـ/2000م، ج2، ص35.

[3]– كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم ابن الزملكاني، البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، تحقيق: أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، مطبعة العاني، بغداد، الطبعة الأولى، 1964م، ص290.

[4]– يُنظر: خليل أحمد عمايرة، في نحو اللغة وتراكيبها، منهج وتطبيق، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة الأولى، 1984م، ص179/89.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة:2020 الصفحة: 82–122 تاريخ النشر: 23–03–2021

يعرض عليه، والمقياس الذي لا يعرف صحيح من سقيم، حتى يرُجع إليه"[1]، مع ملاحظة مهمة وهي: أنّ البلاغيين يتتبعون المعنى في التراكيب المختلفة؛ لرصد أدق الفروق والأغراض البلاغية، عكس النحويين الذين لم يهتموا بها، إذ التقديم عندهم لا يعني سوى العناية والاهتمام، ولا يُبالون من أين كانت تلك العناية، و لم كان الاهتمام؟![2].

5.2 أنواع التقديم والتأخير في القرآن الكريم

الناظر في كتب التفسير والبلاغة، يجد نظرة المفسر تختلف عن نظرة البلاغي، فيما تعلق بمبحث التقديم والتأخير، فالبلاغيون لم يبحثوا هذه الظاهرة إلّا في حدود الجملة والعملية الإسنادية، فما كان خارجا عن نطاق الجملة، ولا علاقة له بالإسناد، كان اِهتمامهم به قليلا، ولذلك كانت دراستهم لموضوع التقديم والتأخير قاصرة ومحدودة![3]، وأمّا علماء الأسلوب القرآني والمفسرون خاصة فتجاوزوا ذلك، وتحدثوا عن التقديم والتأخير في ألفاظ القرآن الكريم، دون الحاجة إلى إسناد، كاشفين في ذلك المعاني البلاغية في الأسلوب القرآني، التي أودعها الله في كتابه العزيز؛ فكانت دراستهم لموضوع التقديم والتأخير في هذا المجال، أكثر عمقا، وأغزر مادة، وأكثر فائدة للدارسين![4]، وعلى هذا

[1]– عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ج1، ص28.

[2]– يُنظر: خالد بن محمد بن إبراهيم العثيم، الأسرار البلاغية للتقديم والتأخير في سورة البقرة، دراسة تطبيقية، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1418هـ/1998م، ص56.

[3]– سامي عطا حسن، التقديم والتأخير في النظم القرآني الكريم بلاغته ودلالاته، مجلة دراسات، عمان، الأردن، المجلد 37، العدد2، سنة 1431هـ/2010، ص430.

[4]– يُنظر: المرجع السابق، ص430.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة:2020 الصفحة: 82–122 تاريخ النشر: 23–03–2021

قسّم المحدثون التقديم والـــتأخير إلى قسمين[1]، فإمّا تقديم لفظ على عامله، وإمّا تقديم لفظ على آخر في غير العامل،

فأمّا الأول: تقديم اللفظ على عامله

فمن ذلك، تقديم المفعول به على فعله، وتقديم الحال على فعله، وتقديم الظرف والجار والمجرور على متعلقهما، وتقديم الخبر على عامله[2]، ونحو ذلك، وهذا التقديم في الغالب يفيد الاختصاص، فقولك: أنجدت خالدا"؛ يُفيد أنّك أنجدت خالدا، ولا يُفيد أنّك خصصت خالدا بالنجدة، بل يجوز أنّك أنجدت غيره، أو لم تنجد أحدا معه، فإذا قلت: "خالدا أنجدتُ"؛ أفاد أنّك خصصت خالدا بالنجدة، وأنّك لم تنجد أحدا آخر، وقد اِهتم النحويون كثيرا بهذا النوع؛ ذلك أنّ فيه خرقا للقواعد النحوية![3]، التي حرصوا على الحفاظ عليها.

وأمّا الثاني: تقديم الألفاظ بعضها على بعض في غير العامل

وهذا لأسباب يقتضيها المقام، وسياق القول، فالتقديم إنّما يكون للعناية والاِهتمام، فما كانت به عنايتك أكبر، قدمته في الكلام، والعناية باللفظة لا تكون من

[1]– يُنظر: فاضل السامرائي، التعبير القرآني، دار عمار، عمان، الطبعة الرابعة، 1427هـــ/2006م، ص49–52.

[2]– فيه خلاف بين البصريين والكوفيين في عامله، أهو المبتدأ أم الابتداء. يُنظر: أبو البركات الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى، 1424هـــ-/2003م، ج1، ص38–43.

[3]– يُنظر: فاضل السامرائي، التعبير القرآني، ص50.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة:2020 الصفحة: 82–122 تاريخ النشر: 23–03–2021

حيث إنّها لفظة معينة، بل قد تكون العناية بحسب مقتضى الحال؛ ولذا نرى القرآن يقدم لفظة مرة، ويؤخرها مرة أخرى على حسب المقام[1].

بعد أن ذكرت باختصار كبير مكانة التقديم والتأخير في العربية، ثم عرّفت بهما، ثم عرجت إلى الإختلاف الحاصل بين نظرة النحوي والبلاغي، ختمت هذا المبحث بتقسيم التقديم والتأخير إلى قسمين، ومن هذا المنطلق، سأحاول أن أقف على أبرز محطات التقديم والتأخير في تفسير ابن عطية، الموسوم بالمحرر الوجيز[2].

3. الجانب التطبيقي: مواضع التقديم والـــتأخير في تفسير اِبن عطية

للتقديم والتأخير في التركيب والنظم القرآني معانٍ بلاغية سامية، سأقف في هذا الجانب إلى استخراج مواضع التقديم والتأخير عند اِبن عطية التي أشار إليها، مع ذكر الدلالة التي يُفضي إليها، إذ قد وجدت ذلك في طائفة من الآيات، التي وقف عندها ابن عطية،حيث أشار إلى دلالة التقديم والتأخير بقسميه، وهذه بعض الأمثلة التي تبين دقة القرآن وبلاغته، في أسلوبي التقديم والتأخير، التي تفطن لها ابن عطية وأشار إليها، ومنها:

1.3 ما تقدم فيه المعمول على عامله.

[1]– يُنظر: فاضل السامرائي، التعبير القرآني، ص52.

[2]– الوقوف على ترجمة ابن عطية أو تفسيره يستغرق صفحات أو مجلدات!، وحرصا مني على الإيجاز، أُحيل القارئ الكريم إلى كتاب نفيس جدا!، أرى بأنّ صاحبه وفّى فيه التعريف بابن عطية، وتفسيره، وهذا الكتاب هو "منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم" لمؤلفه عبد الوهاب فايد، إذ تكلم فيه صاحبه عن الحياة السياسية في عهد ابن عطية، وعن مكانته العلمية، وشيوخه ومنهجه في التفسير، ومصادر تفسيره اللغوية والفقهية، وما إلى غير ذلك. وهذا الكتاب قامت بطبعه الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1393هـــ/1973م، ويقع في حوالي 412 ص.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة:2020 الصفحة: 82–122 تاريخ النشر: 23–03–2021

هناك عدة أغراض، أو دلالات، يذكرها أهل الإختصاص في الغرض[1] من التقديم والتأخير، أتى ابن عطية على بعضها، فمنها:

أولا: الإختصاص

جاء ذلك في قوله تعالى:{يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّباتِ ما كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ}[2]، تَيَمَّمُواْ حيث يرى إبن عطية: أنّ في الآية تقديم معمول على عامل، وذلك في قوله: "منه تنفقون" حيث يقول: "وقال الجرجاني في كتاب نظم القرآن: قال فريق من الناس: إنّ الكلام تم في قوله: "الخبيثَ"، ثم إبتدأ خبرا آخر في وصف الخبيث، فقال: تُنفقون منه، وأنتم لا تأخذونه إلا إذا أغمضتم، أي ساهلتم ... وكأنّ هذا المعنى عتابٌ للناس وتقريع، والضمير في "منه" عائد على الخبيث، قال الجرجاني وقال فريق آخر: بل الكلام متصل إلى قوله فيه...فالضمير في "منه" عائد على ما كسبتم، ويجيء "تُنفقون" كأنّه في موضع نصب على الحال، وهو كقولك: إنّما أَخرج أجاهدُ في سبيل الله"[3].

يشير إبن عطية في هذه الآية، إلى أنّ هناك تقديما للجار والمجرور على عامله، وقد أشار من أنّ هذا التقديم، الغرض منه الإختصاص، أي لا تخصوا الخبيث بالإنفاق، وقد أشار إلى هذا الغرض بضرب المثال عن أسلوب الإختصاص، وذلك في قوله:" إنّما أَخرج

[1]– كالاهتمام والاختصاص مثلا.

[2]– سورة البقرة، الآية 267.

[3]– أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي المحاربي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1422هـ، ج1، ص362.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة:2020 الصفحة: 82–122 تاريخ النشر: 23–03–2021

أُجاهد في سبيل الله"، ومعلوم أنّ "إنّما" من طرق القصر[1]، وقد وافقه الشوكاني في أنّ التقديم في الآية يفيد الاختصاص، حيث يقول:" وتقديم الظرف في قوله: "منه تنفقون" يفيد التخصيص، أي: لا تخصوا الخبيث بالإنفاق، والجملة في محل نصب على الحال، أي: لا تقصدوا المال الخبيث مخصصين الإنفاق به، قاصرين له عليه"[2].

ثانيا: الاِهتمام

1- جاءت دلالة الاِهتمام في قوله تعالى:{يا بَنِي إِسْرائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ}[3]، حيث يرى ابن عطية، أنّ في الآية تقديمَ معمولٍ على عامله، وقد أشار إليه بقوله:" وإيّاي فارهبون الاِسم "إيّا" والياء ضمير ككاف المخاطب، وقيل "إياي" بجملته هو الاِسم، وهو منصوب بإضمار فعل مؤخر، تقديره: وإيَّايَ ارهبوا فارهبون، وامتنع أن يتقدر مقدما؛ لأنّ الفعل إذا تقدم لم يحسن أن يتصل به إلا ضمير خفيف، فكان يجيء وارهبون"[4].

يذكر اِبن عطية في هذه الآية أنّ الضمير المنفصل "إيّايَ" يجب تقديمه على عامله "ارهبوا"، ويرى أنّ الفعل لو تقدم لفات المطلوب، وقد أفاد هذا التقديم الاِهتمام[5]، وأنّ

[1]- يُنظر: جلال الدين القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ج3، ص24.

[2]- محمّد بن علي بن محمّد بن عبد الله الشوكاني اليمني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى، 1414هـ، ج1، ص331–332.

[3]- سورة البقرة، الآية 40.

[4]- ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز، ج1، ص134.

[5]- حيث جاء في تركيب مشابه لهذا التركيب، التصريح من ابن عطية من غرض التقديم والتأخير، حيث يقول في تفسير قوله تعالى: "إنّ أرضي واسعة فإيّاي فاعبدون" ما نصه: "فإياي منصوب بفعل

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة:2020 الصفحة: 82–122 تاريخ النشر: 23–03–2021

الرهبة لا تكون إلّا من الله عز وجل، وقد خالف أكثر المفسرين اِبنَ عطية في هذه الآية، حيث ذكروا دلالة أخرى غيرَ التي ذكرها، حيث قالوا :إنّ الغرض من التقديم والتأخير في الآية هو الإختصاص، ومن هؤلاء الزمخشري، الذي جاء عنه في تفسيره للآية، ما نصه: "وإيَّاي فارهبون" فلا تنقضوا عهدي...وهو أوكد في إفادة الاختصاص من "إياك نعبد"[1]، ومعلوم عند أرباب الصنعة، أنّ تقديم المفعول أوكد في إفادة الاختصاص؛ وهذا "لما فيه مع التقديم من تكرير المفعول، والفاء الجزائية الدالة على تضمن الكلام معنى الشرط، كأنه قيل إن كنتم راهبين شيئا فارهبوني"[2].

2– من ذلك، ما جاء في قوله تعالى:{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}[3]، حيث يقول: "نُطْقُ المؤمن به إقرارٌ بالربوبية، وتذلل وتحقيق لعبادة الله، إذ سائر الناس يعبدون سواه من أصنام وغير ذلك، وقدّم المفعول على الفعل اِهتماما، وشأن العرب تقديم الأهم"[4].

يشير اِبن عطية في هذه الآية، الى أنّ المفعول، وهو الضمير المنفصل "إيّا" تقدم على فعله، وهو "نستعين"، وقد صرح، رحمه الله، أنّ الغرض من هذا التقديم، هو الاِهتمام، بل عزز ذلك بقوله: "إنّه من شأن العرب"، الذي يدل منه على أنّه أفضل

مقدر يدل عليه الظاهر، تقديره: فإيّاي اعبدوا فاعبدون، على الاهتمام أيضا في التقديم". ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز، ج4، ص324.

[1]– أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1407هـ، ج1، ص131.

[2]– أبو السعود العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، 1990م، ج1، 95.

[3]– سورة الفاتحة، الآية 4.

[4]– ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز، ج1، ص72.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة:2020 الصفحة: 82–122 تاريخ النشر: 23–03–2021

وأبلغ من المحافظة على الرتبة، وقد خالف أكثر المفسرين والنحويين اِبن عطية في دلالة التقديم في الآية، وذكروا غرضا آخر غير الذي ذكره، فهذا الشوكاني يذكر خلافا في المسألة، حيث يقول: "وتقديمه على الفعل؛ لقصد الاِختصاص، وقيل للاِهتمام، والصواب أنّه لهما، ولا تزاحم بين المقتضيات، والمعنى: نخصّك بالعبادة، ونخصك بالاِستعانة، لا نعبد غيرك ولا نستعينه"[1]، ونلاحظ أنّ الشوكاني ذكر دلالة أخرى لتقديم المفعول على فعله، غفل ابن عطية عن ذكرها، ألا وهي: دلالة الاِختصاص، إذ عد البلاغيون التقديم والتأخير إحدى طرائق القصر الأربعة، وهذا الذي يُعد نقطة اِلتقاء بينهما، والتي تبدو الأنسب في هذا المقام، إذ تقدير الكلام: نخصك بالعبادة وحدك دون غيرك، ونخصك بالاِستعانة وحدك، دون غيرك، وهذا القول رجّحه الزمخشري، حيث يقول عن تقديم المفعول على فعله: "...وتقديم المفعول لقصد الاِختصاص، كقوله تعالى: "قل أفغير الله تأمروني أعبد"، "قل أغير الله أبغي ربا"، والمعنى نخصك بالعبادة، ونخصك بطلب المعونة"[2]، ويقول فاضل السامرائي في هذا الشأن: "تقديم اللفظ على عامله، ومن هذا الباب تقديم المفعول به على فعله...وهذا التقديم في الغالب يفيد الاختصاص"[3]، أي إنّ كل تقديم لمفعول على فعله، يدخل في هذا الباب. فالكثير المطرد من كلام العرب، أن يأتي لدلالة الاِختصاص.

3– ومنه ما جاء في قوله تعالى: {وَمِنَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّا نَصارى أَخَذْنا مِيثاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنا بَيْنَهُمُ الْعَداوَةَ وَالْبَغْضاءَ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِما

[1]– الشوكاني، فتح القدير، ج1، ص27.
[2]– الزمخشري، الكشاف، ج1، ص13.
[3]– فاضل السامرائي، التعبير القرآني، ص49.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة:2020 الصفحة: 82–122 تاريخ النشر: 23–03–2021

كانُوا يَصْنَعُونَ}[1]، حيث يرى اِبن عطية أنّ في الآية تقديما وتأخيرا، حيث يقول: "مِن" متعلقة بـــ "أخذنا" التقدير: وأخذنا من الذين قالوا إنا نصارى ميثاقهم"[2].

يرى اِبن عطية أنّ في الآية تقديما للجار والمجرور "من الذين" على عامله، وهو الفعل "أخذنا"، إذ يرى أنّ تقدير الكلام: "أخذنا من الذين قالوا إنا نصارى ميثاقهم"، وقد أغفل ابن عطية في كلامه ذكر دلالة هذا التقديم والتأخير!، وبصفة عامة نقول: إنّ دلالة تقديم الجار والمجرور على عامله، حسب ما سطّره البلاغيون، تكمن في أمرين إمّا الاِهتمام، أو الاِختصاص، والذي يترجح لنا في الآية: أنّ تقديم المعمول على العامل، يُفيد الاِهتمام، وقد عبّر عن هذا الغرض أكثر من واحد، منهم الشوكاني، حيث قال:" قوله: ومن الذين قالوا إنّا نصارى أخذنا ميثاقهم" الجار والمجرور متعلق بقوله: أخذنا، والتقديم للاِهتمام، والتقدير: وأخذنا من الذين قالوا: إنّا نصارى ميثاقهم: أي في التوحيد والإيمان بمحمد، صلى الله عليه وسلم، وبما جاء به. قال الأخفش: هو كقولك: أخذت من زيد ثوبه ودرهمه، فرتبة الذين بعد أخذنا"[3]، وهي الدلالة التي ذكرها الألوسي[4].

4- جاء عند ابن عطية في تفسير قوله تعالى: {فَكُلاًّ أَخَذْنا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنا عَلَيْهِ حاصِباً وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنا وَما

[1]- سورة المائدة، الآية 14.

[2]- ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز، ج2، ص170.

[3]- الشوكاني، الفتح القدير، ج2، ص26.

[4]- يُنظر: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1415هـــ، ج3، 267.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة:2020 الصفحة: 82–122 تاريخ النشر: 23–03–2021

كانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ}[1]، ما نصه:" وظلمهم أنفسهم كان بالكفر، ووضع العبادة في غير موضعها، وقدّم المفعول على "يظلمون" للاهتمام، وهذا نحو: "إياك نعبد" وغيره"[2]

يشير اِبن عطية في هذه الآية إلى أنّ المعمول "أنفسهم"، وهو مفعول به مقدم، متقدم على العامل "يظلمون"، وقد صرّح ابن عطية من أنّ دلالة هذا التقديم هي الاهتمام بشأنهم، وأحال في ذلك إلى قوله تعالى:" إيّاك نعبد وإيّاك نستعين"، التي ذكر أنّ دلالة التقديم فيها للاهتمام، وقد انتقد الألوسي من حصر دلالة التقديم في الآية على الاهتمام فقط، ورأى بأنّ نظرته قاصرة، بل أكثر من هذا فقد ذكر قولا آخرا في المسألة، وهو أنّ بعضهم ذهب إلى أنّ هذا التقديم والتأخير هو لمجرد مراعاة الفاصلة[3]، والصحيح الذي نراه في المسألة القول: إنّ دلالة هذا التقديم هو القصر، وهو اختيار الألوسي، الذي يقول: "وتقديم المفعول للدلالة على القصر الذي يقتضيه النفي السابق، وفيه ضرب تهكم بهم"[4]، وإليه ذهب ابن عاشور من المتأخرين، حيث يقول:" قدّم فيه المفعول للقصر، وقد حصل القصر أولا بمجرد الجمع بين النفي والإثبات، ثم أكدّ بالتقديم؛ لأنّ حالهم كحال من ينكي غيره"[5].

[1]– سورة العنكبوت، الآية 40.

[2]– ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز، ج4، ص318.

[3]– يُنظر: الألوسي، روح المعاني، ج5، ص325.

[4]– المرجع السابق، ج1، ص265.

[5]– محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، الطبعة (غ م)، 1984م، ج1، ص512.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة:2020 الصفحة: 82–122 تاريخ النشر: 23–03–2021

فهذا القسم الأول من أقسام تقديم المعمول على عامله، وقد ورد في تفسير اِبن عطية في خمسة مواضع، اقتصر فيها على دلالتين فحسب!، وهما الإختصاص، الذي جاء في موضع واحد، لم يصرّح به وإنّما ذكره بالمثال، في حين ذكر دلالة الاهتمام في أربعة مواضع، صرّح باثنين منها، ولمّح إلى واحد منها بالمثال، في حين وقفت على الرابعة بالتتبع والاستقراء، وأمّا القسم الثاني من أقسام التقديم والتأخير، فقد أكثر المفسرون من ذكره، ومنهم ابن عطية، وسأقف عليها فيما هو آتٍ:

2.3 تقديم لفظ على لفظ آخر ،غير عامل فيه.

هناك عدة أغراض أو دلالات، يذكرها أهل الاختصاص، في الغرض من التقديم والتأخير، في هذا القسم، ومنها[1]:

أولا: الإهتمام

1- جاء ذكر دلالة الإهتمام في تفسير قوله تعالى:{يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نساءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثا ما تَرَكَ وَإِنْ كانَتْ واحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ واحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَواهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِها أَوْ دَيْنٍ آباؤُكُمْ وَأَبْناؤُكُمْ لا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلِيماً حَكِيماً}[2]، حيث أشار اِبن عطية إلى ذكر سبب تقدم الوصية على الدين، حيث يقول:" وهذه الآية إنّما قصد بها تقديم هذين الفعلين على الميراث، و لم يقصد بها ترتيبهما في

[1]- كالاهتمام والاختصاص ومناسبة رؤوس الآي والسبق في الوجود وتقديم الأكثر على الأقل وغيرها.

[2]- سورة النساء، الآية 11.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة:2020 الصفحة: 82–122 تاريخ النشر: 23–03–2021

أنفسهما؛ ولذلك تقدمت "الوصية" في اللفظ، و"الدين" مقدم على "الوصية" بإجماع، والذي أقول في هذا: إنّه قدّم "الوصية" إذ هي أقل لزوما من "الدين"، اِهتماما بها وندبا إليها، كما قال تعالى: "لا يغادر صغيرة ولا كبيرة"[1]، وأيضا قدّمها من جهة أنّها مضمنها الوصية، التي هي كاللازم، يكون لكل ميت، إذْ قد حضَّ الشرع عليها، وأخرّ "الدين" لشذوذه، وأنّه قد يكون، ولا يكون، فبدأ بذكر الذي لا بد منه، ثم عطف بالذي قد يقع أحيانا، ويقوي هذا كون العطف بـــ "أو"، ولو كان الدين راتبا لكان العطف بـــ "الواو"، وقدمت "الوصية" أيضا، إذ هي حظ مساكين وضعاف، وأخرّ "الدين" إذ هو حظ غريم يطلبه بقوة!، وهو صاحب حق له فيه، كما قال عليه السلام: "إنّ لصاحب الحق مقالا"[2].

نلاحظ أنّ اِبن عطية أطال النفس في الآية، على غير عادته!، ووقف فيها على السر الدلالي من وراء تقديم "الوصية" وتأخير "الدين"، مع أنّ "الدين" مقدم على "الوصية" بإجماع الفقهاء، كما ذكر اِبن عطية، وقد أرجع دلالة هذا التقديم والتأخير إلى الاِهتمام بالوصية، التي غالبا ما يغفل عنها المؤمن، ويكون همّه الأكبر، وشغله الشاغل الدين، فقدمها عليه، للحث عليها وأنّها لا تقل أهمية عن الدين؛ وذلك أنّ نفس الوارث تبخل بها؛ لأنّها تُعطى من غير مقابل، إذ هي كالمشاركة لهم في الإرث، وهذا القول هو اختيار الزمخشري، حيث يقول: "فإن قلت: لَمَ قُدمت الوصية على الدين، والدين مقدم عليها في الشريعة؟ قلت: لما كانت الوصية مشبهة للميراث، في كونها مأخوذة من غير عوض، كان إخراجها مما يشقُّ على الورثة، ويتعاظمهم ولا تطيب أنفسهم بها، فكان

[1]– سورة الكهف، الآية 49.

[2]– ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز، ج2، ص17.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة:2020 الصفحة: 82–122 تاريخ النشر: 23–03–2021

أداؤها مظنة للتفريط!، بخلاف الدين فإنّ نفوسهم مطمئنة إلى أدائه، فلذلك قدمت على الدين بعثا على وجوبها والمسارعة إلى إخراجها مع الدين، ولذلك جيء بكلمة "أو" للتسوية بينهما في الوجوب"[1].

2- من ذلك ما جاء في قوله تعالى: {يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذابَ بِما كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (106) وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَتِ اللَّهِ هُمْ فِيها خالِدُونَ}[2]، حيث يقول: "ولّما كان صدر هذه الآية إخبارا عن حال لا تخص أحدا معينا، بُدئ بذكر البياض لشرفه، وأنّه الحالة المثلى، فلمّا فُهم المعنى، وتعين له "الكفار والمؤمنون"، بُدئ بذكر الذين اِسودت وجوههم؛ للاِهتمام بالتحذير من حالهم"[3].

يذكر اِبن عطية في هذه الآية، سبب عدول النص القرآني إلى ذكر الوجوه السوداء، وتقديمها على البيضاء يوم القيامة، إذ يرى أنّ الغرض من تقديم البياض في صدر الآية، هو لِما له من الشرف العظيم على السواد[4]، فضلا على ذلك، فإنّ الإخبار جاء في بادئ الآية لا يخص أحدا بعينه، أمّا الغرض من تقديم السواد على البياض فيما بعد، فهو للاِهتمام والتحذير من حال هؤلاء الذين اِسودت وجوههم نتيجة أفعالهم السيئة، إضافة إلى ذلك، فالبياض مقدم على السواد إجمالا، ولا يقصد به في الآية فئة بعينها، فلمّا كان المقام مقام تحذير في أثناء التفصيل، قدّم السواد لمجاورة تسود وجوه فأما الذين اسودت

[1]- الزمخشري، الكشاف، ج1، ص484.

[2]- سورة آل عمران، الآية 106.

[3]- ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز، ج1، ص487.

[4]- يُمكن إدراج شطر الآية الأولى في دلالة التشريف؛ وقد تجنبنا ذلك حرصا منا على عدم تشتيت ذهن القارئ، وكذا الاختصار وعدم ملأ البحث بالتفريعات والأبواب!.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة:2020 الصفحة: 82–122 تاريخ النشر: 23–03–2021

وجوههم، إضافة إلى ذلك البشارة للمؤمنين حيث ابتدأ وختم بحكمهم[1]، وذلك لكي يكون "مطلع الكلام ومقطعه شيئا يسر الطبع، ويشرح الصدر!"[2].

3- نصّ ابن عطية في قوله تعالى:{وَإِذِ ابْتَلى إِبْراهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِماتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قالَ إِنِّي جاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِماماً قالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قالَ لا يَنالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ}[3]، عن الغرض من التقديم والتأخير، حيث يقول:" وابتلى معناه اختبر، وإبراهيمُ، يقال إن تفسيره بالعربية: أب رحيم... وقُدم على الفاعل للاِهتمام، إذ كونُ الرب مبتليا معلوم، فإنّما يهتم السامع بمن ابتلى، وكون ضمير المفعول متصلا بالفاعل، موجبٌ تقديم المفعول، فإنّما بُني الكلام على هذا الاهتمام"[4].

يرى ابن عطية كغيره من المفسرين أنّ الفاعل مؤخر في اللفظ عن المفعول، ويُرجع دلالة تقديم المفعول على فاعله إلى الاهتمام بشأن المفعول؛ لكي لا يُتوهم غيره، إذ إنّ المبتلِي معلوم، وهو الله عزّ وجل، والأنسب في هذه الآية أن نقول إنّ سبب تقديم إبراهيم هو لتشريفه بإضافة اسم الرب إلى اسمه مع مراعاة الإيجاز، وهذا القول هو المختار عند الطاهر بن عاشور، الذي قال في الآية: "وتقديم المفعول وهو لفظ "إبراهيم"؛

[1]- يُنظر: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، الطبعة (غ م)، 1420هـ/2001م، ج3، ص293.

[2]- المرجع السابق، ج3، ص293.

[3]- سورة البقرة، الآية 124.

[4]- ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز، ج1، ص205.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة:2020 الصفحة: 82–122 تاريخ النشر: 23–03–2021

لأنّ المقصود تشريف إبراهيم بإضافة اِسم "رب" إلى اسمه، مع مراعاة الإيجاز؛ فلذلك لم يقل: وإذ ابتلى اللهُ إبراهيم"[1].

ثانيا :مناسبة رؤوس الآي.

1- جاء في تفسير قوله تعالى: {فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّداً قالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هارُونَ وَمُوسى}[2]، ذكر سبب تقديم هارون على موسى، حيث يقول اِبن عطية: "وقدّم هارون قبل موسى؛ لتستوي رؤوس آي السور، فنقل معنى السحرة، وهذا كقوله عز وجل: "أزواجا من نبات شتى"، تأخر شتى إنّما هو لتستوي رؤوس الآي"[3].

يذهب اِبن عطية إلى أنّ الدلالة من تقديم هارون على موسى في اللفظ، تعود إلى المناسبة لرؤوس الآي، حيث إنّ الملاحظ للآيات قبلها أو بعدها، يجدها كلها تنتهي بألف مقصورة، فبهذا الاعتبار قُدّم هارون على موسى في اللفظ، لا غير، ولا شك من أنّ مراعاة رؤوس الآي من السمات البلاغية الجميلة التي اتصف بها القرآن، وهو يقابل القافية في الشعر والسجع في النثر، وقد سمّى بعض العلماء هذا النوع بالفاصلة القرآنية، عدولا منهم عن السجع والقافية، كما هو صنيع أبي سنان الخفاجي والرماني[4]، لكن

[1]- ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص702.

[2]- سورة طه، الآية 70.

[3]- ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز، ج4، ص52.

[4]- حيث يقول الخفاجي:" وأما الفواصل التي في القرآن فإنهم سموها فواصل و لم يسموها أسجاعا!، وفرقوا فقالوا: إنّ السجع هو الذي يقصد في نفسه ثم يحمل المعنى عليه، والفواصل التي تتبع المعاني ولا تكون مقصودة في أنفسها!، وقال على بن عيسى الرماني: إنّ الفواصل بلاغة والسجع عيب!". أبو سنان الخفاجي الحلبي، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1402هـ/1982م، ص172.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة:2020 الصفحة: 82–122 تاريخ النشر: 23–03–2021

الاقتصار عليه فحسب، كما هو صنيع ابن عطية فيه قصور!؛ ذلك ما جعل بعضهم يرى أنّ دلالة هذا التقديم، ترجع إلى السن، حيث إنّ هارون يكبر موسى بثلاث سنوات[1]، ولكن المرجح في الآية عندي، إضافة إلى الدلالتين السابقتين، ولا نقتصر على واحدة منها، أو كليْهما فقط، بل أضيف إليهما ما أورده البيضاوي، من أنّ سبب تقديم هارون على موسى، هو لدفع التوهم، حيث يقول: "قدّم هارون لكبر سنه، أو لروي الآية، أو لأنّ فرعون ربى موسى في صغره، فلو اقتصر على موسى أو قدّم ذكره لربما توهم أنّ المراد فرعون"[2]، فبدؤوا بهارون؛ ليزول تمويه فرعون؛ أنّه ربى موسى، فيقول: أنا ربيته، وهو المختار عند ابن عاشور[3].

2- وجاءت هذه الدلالة أيضا في تفسير قوله تعالى: {وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكانَ لِزاماً وَأَجَلٌ مُسَمًّى}[4]، حيث جاء عند اِبن عطية التنصيص منه على أنّ في الآية تقديما وتأخيرا، حيث يقول:" ثم أعلم عز وجل قبله، أنّ العذاب كان يصير لهم لزاما، لولا كلمة سبقت من الله تعالى، في تأخيره عنهم إلى أجل مسمى عنده، فتقدير الكلام: ولولا كلمة سبقت في التأخير، وأجل مسمى، لكان العذاب لزاما، كما تقول لكان حتما أو واجبا واقعا، لكنّه قدّم وأخر لتشتبه رؤوس الآي"[5].

[1]- يُنظر: أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج5، ص140.

[2]- أبو سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1418هـ، ج4، ص33.

[3]- يُنظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج9، ص53.

[4]- سورة طه، الآية 129.

[5]- ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز، ج4، ص69.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة:2020 الصفحة: 82–122 تاريخ النشر: 23–03–2021

يرى ابن عطية أنّ في الآية تقديما وتأخيرا، إذ إنّ "أجل مسمى" المتأخرة في اللفظ، حقها التقدم في اللفظ على "كلمة"، إذ التقدير على هذا المعنى يُصبح:" ولولا كلمة سبقت من ربك وأجلٌ مسمى يقع عنده الهلاك، لكان إهلاكهم لزاما"[1]، ويرى ابن عطية أنّ سبب عدول النص القرآني عن هذا الترتيب، هو تناسب رؤوس الآي، أي مراعاة للفاصلة، إذ جميع الآيات تنتهي بألف مقصورة، وقد كان ابن عطية مقلدا الزجاج في ذكر دلالة التقديم والتأخير في الآية![2]، وهذا الذي قاله ابن عطية والزجاج، هو اختيار أبي حيان[3]، والقرطبي[4].

ثالثا: التفضيل والتشريف

1- جاء ذلك في قوله تعالى: {وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجالاً وَعَلى كُلِّ ضامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ}[5]، حيث يقول ابن عطية، عن سبب تقديم المشاة على الركاب:" وفي تقديم "رجالا" تفضيل للمشاة في الحج، قال ابن عباس: "ما آسى على

[1]- يُنظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج16، ص337.

[2]- حيث جاء عند الزجاج في معانيه، ما نصه:" وأجل مسمى، معطوف على "كلمة"، المعنى لولا كلمة سبقت وأجل مسمى لكان لزاما، يعنى بالأجل المسمى أن الله وعدهم العذاب يوم القيامة". أبو إسحاق الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، 1408هـ/ 1988م، ج3، ص380.

[3]- أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، ج7، ص358.

[4]- أبو عبد الله محمد بن أحمد شمس الدين القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، 1384هـ/1964م، ج11، ص260.

[5]- سورة الحج، الآية 27.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة:2020 الصفحة: 82–122 تاريخ النشر: 23–03–2021

شيء فاتني إلّا أن أكون حججت ماشيا!، فإنّي سمعت الله تعالى يقول: "يأتونك رجالا"[1].

ترجع دلالة تقديم المشاة على الركبان عند ابن عطية، في الأفضلية والشرف، الذي يتمتع به الحاج الذي قصد البيت الحرام مشيا على الأقدام، لما يحمله من جهد ومشقة!، والأثر الذي نقله عن اِبن عباس ما يكشف فضل الحج ماشيا، وقد وافقه القرطبي في ذلك من أنّ سبب تقديم المشاة على الركبان يعود للأفضلية، حيث نقل عبارته بقوله: "ولّما قال تعالى: "رجالا" وبدأ بهم دلّ ذلك على أنّ حج الراجل أفضل من حج الراكب"[2]، وذهب بعضهم إلى أنّ تقديم المشاة على الركبان يرجع إلى الجهد والمشقة، التي يتحملها الحاج الماشي في سفره لقصد البيت الحرام[3]، وذهب قوم إلى أنّ تقديم المشاة يرجع إلى السبق المكاني، إذ إنّ الذين يأتون رجالا الغالب أنّهم يكونون من المكان القريب، والإتيان على الضامر الغالب أن يكون من المكان البعيد[4]، لكن المتأمل المتفحص يجد قول ابن عطية قولا وجيها مسددا!.

2–جاء في تفسير قوله تعالى:{وَإِذْ أَخَذْنا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْراهِيمَ وَمُوسى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنا مِنْهُمْ مِيثاقاً غَلِيظاً}[5]، ذكر سبب تقديم محمد، صلى الله عليه وسلم، على باقي الرسل، حيث يقول اِبن عطية:" وقدّم ذكْر محمد

[1]– ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز، ج4، ص118.

[2]– شمس الدين القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج12، ص39.

[3]– حيث يقول الشوكاني: "وقدم الرجال على الركبان في الذكر لزيادة تعبهم في المشي". الشوكاني، فتح القدير، ج3، ص530.

[4]– الزركشي، البرهان في علوم القرآن ، ج3، ص249.

[5]– سورة الأحزاب، الآية 7.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة:2020 الصفحة: 82–122 تاريخ النشر: 23–03–2021

على مرتبته في الزمن، تشريفا خاصا له أيضا، وروي عنه، عليه السلام، أنّه قال: "كنت أول الأنبياء في الخلق وآخرهم في البعث"[1].

يرى اِبن عطية أنّ الغرض من تقديم محمد، صلى الله عليه وسلم، على باقي الرسل، رغم أنّهم قبله في الزمن والبعثة!، إلى أنّ ذلك يعود إلى التشريف، وبالمنزلة التي يتميز بها عن باقي الرسل، وهذا اِستنادا إلى حديثه صلى الله عليه وسلم:" أنا سيد ولد آدم"[2]، والذي يلاحظ على اِبن عطية في هذا التوجيه، أنّه أخذه من الزجاج، الذي قال في معانيه:" فذكره الله في أخذ الميثاق قبل نوح، وجاء في التفسير: إنّي خلقت قبل الأنبياء، وبعثت بعدهم"[3]، فعلى صحة الخبر، قُدم النبي، صلى الله عليه وسلم، على باقي الأنبياء من هذه الحيثية، أي إنّه أول من خلق، لكن الحديث حكم الحفّاظ بضعفه![4]، فعلى هذا نقول إنّ سبب تقديم النبي، صلى الله عليه وسلم، على باقي الأنبياء يعود للتشريف ولمنزلته؛ وذلك اِستنادا إلى الحديث الذي رواه مسلم، السابق الذكر.

[1]– ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز، ج4، ص371.

[2]– الحديث رواه مسلم من حديث أبي هريرة أنّ النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: "أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع". مسلم بن الحجاج النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، رقم الحديث 2278، الطبعة (غ م)، (د ت).

[3]– أبو إسحاق الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج4، ص216.

[4]–يُنظر: محمد ناصر الدين الألباني، السلسلة الضعيفة، دار المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1412هـ/ 1992م، ج2، ص115.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة:2020 الصفحة: 82–122 تاريخ النشر: 23–03–2021

3- جاء في تفسير قوله تعالى:{يا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ}[1]، ذكر سبب تقديم السجود على الركوع، حيث يقول اِبن عطية: "واختلف المتأولون، لِم قدّم السجود على الركوع؟، فقال قوم: كان ذلك في شرع زكرياء، وغيره منهم، وقال قوم: الواو لا تعطي رتبة، وإنّما المعنى، اِفعلي هذا وهذا، وقد علم تقديم الركوع... وهذه الآية قد علم أنّ السجود بعد الركوع، فكيف جاءت الواو بعكس ذلك؟ فالقول عندي في ذلك، أنّ مريم أُمرت بفصلين ومعلمين من معالم الصلاة، وهما طول القيام والسجود، وخصا بالذكر لشرفهما في أركان الصلاة، وإذا العبد يقرب في وقت سجوده من الله تعالى: وهذان يختصان بصلاتها مفردة، وإلاّ فمن يصلي وراء إمام، فليس يقال له أطل قيامك، ثم أمرت بعد بالصلاة في الجماعة، فقيل لها: واركعي مع الراكعين، وقصد هنا معلم من معالم الصلاة، لئلا يتكرر لفظ، ولم يرد بالآية السجود والركوع، الذي هو منتظم في ركعة واحدة، والله أعلم"[2].

يتعرض ابن عطية في هذه المسألة إلى الغرض البلاغي من تقديم السجود على الركوع، إذ من المعلوم في ديننا أنّ الركوع أسبق في الوجود من السجود!، فذكر قولين في سبب تقديم السجود، الأول: أنّ ذلك كان في شرع زكرياء، وعليه لا اِعتراض على سبب تقدم السجود عن الركوع، ثم ذكر قولا ثانيا، ونصره بالأدلة من أنّ الغرض من تقديم السجود هو لشرفه، إضافة إلى أنّ المقام مقام شكر؛ لذلك قُدّم على الركوع،

[1]- سورة آل عمران، الآية 43.

[2]- ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز، ج1، ص434.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة:2020 الصفحة: 82–122 تاريخ النشر: 23–03–2021

وعليه المعول عند الطاهر بن عاشور، الذي يقول عن سبب التقديم: "وقدّم السجود؛ لأنّه أدخل في الشكر، والمقام هنا مقام شكر"[1].

4- وجاء هذا الغرض أيضا في قوله تعالى: {وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (157) وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ}[2]، حيث يقول ابن عطية:" وقدّم القتل في قوله تعالى: "ولئن قتلتم"؛ لأنّه ابتداء إخبار، فقدّم الأشرف الأهم، والمعنى: أو متم في سبيل الله، فوقع أجركم على الله، ثم قدّم الموت في قوله تعالى: "ولئن متم أو قتلتم"؛ لأنّها آية وعْظ بالآخرة والحشر، وآية تزهيد في الدنيا والحياة، والموت المذكور فيها هو موت على الإطلاق في السبيل وفي المترل وكيف كان، فقدم لعمومه وأنّه الأغلب في الناس من القتل"[3].

يتضح مما تقدم أنّ اِبن عطية قد أشار إلى دلالة التقديم والتأخير في الآية، من أنّ الله سبحانه وتعالى قدّم "القتل" على "الموت" في قوله تعالى: "ولئن قُتلتم في سبيل الله أو مُتم"؛ لأنّ القتل في سبيل الله له شرف عظيم، ومغفرة من الله أكثر من الموت، فجاء مقدم الذكر على الموت، فضلا على أنّ الله بيّن من تقديمه على الموت ماله من مترلة عظيمة ينال بها العبد رضا ربه ومغفرته، أمّا الجزء الأخير[4] من الآية فجاء الموت فيها مقدما على القتل، حيث يقول تعالى: "ولئن متم أو قتلتم لإلى الله تحشرون" حيث أورد ابن عطية ذلك، ذاكرا أنّ الغرض منه، هو أنّ سياق الآية، الذي جاء فيه الموت مقدما

[1]- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج3، ص244.

[2]- سورة آل عمران، الآية 157–158.

[3]- ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز، ج1، ص532.

[4]- يُمكن إدراج شطر الآية الثاني ضمن دلالة تقديم الأكثر على الأقل، وتجنبت ذلك قصد عدم تشتيت ذهن القارئ!، وفي الإشارة إليها هنا غنية عن هناك.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة:2020 الصفحة: 82–122 تاريخ النشر: 23–03–2021

على القتل، يحمل في طياته الوعظ بالآخرة والحشر، وقدّم الموت لأنّه الأغلب في الناس من القتل، وقد تابعه في ذلك أبو حيان، الذي قال في الآية: "وقدم القتل هنا؛ لأنّه ابتداء إخبار، فقدم الأشرف الأهم في تحصيل المغفرة والرحمة، إذ القتل في سبيل الله أعظم ثوابا من الموت في سبيله، قال الراغب: تضمنت هاتان الآيتان إلزاما، هو جار مجرى قياسين شرطيين اقتضيا الحرص على القتل في سبيل الله تمثيله: إنْ قُتلتم في سبيل الله، أو متم، حصلت لكم المغفرة والرحمة، وهما خير مما تجمعون. فإذا الموت والقتل في سبيل الله خير مما تجمعون، ولئن متم أو قتلتم فالحشر لكم حاصل، وإذا كان الموت والقتل لا بد منه والحشر؛ فنتيجة ذلك أنّ القتل والموت اللذين يوجبان المغفرة والرحمة خير من القتل والموت اللذين لا يوجبانهما"[1].

رابعا: اِستشراف النفوس

1- جاء عند اِبن عطية في قوله تعالى: {...أَنْ تَضِلَّ إِحْداهُما فَتُذَكِّرَ إِحْداهُمَا الْأُخْرى...}[2]، ذكر الدلالة من تقديم قوله: "أن تضل إحداهما"، على "تذكر إحداهما"، حيث يقول: "ولّما كانت النفوس مستشرفة إلى معرفة أسباب الحوادث!، قدّم في هذه العبارة ذكر سبب الأمر المقصود أن يخبر به، وفي ذلك سبق النفوس إلى الإعلام بمرادها، وهذا من أنواع أبرع الفصاحة، إذ لو قال رجل لك: أعددت هذه الخشبة أن أدعم بها الحائط، لقال السامع: و لم تدعم حائطا قائما؟ فيجب ذكر السبب فيقال: إذا مال فجاء في كلامهم تقديم السبب أخصر من هذه المحاورة"[3].

[1]- أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج3، ص405.
[2]- سورة البقرة، الآية 282.
[3]- ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز، ج1، ص382.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة:2020 الصفحة: 82–122 تاريخ النشر: 23–03–2021

في ضوء ما تقدم، يذكر اِبن عطية أنّ الغرض من تقديم السبب على المسبب له!، هو أنّ النفس البشرية من طبيعتها، أنّها تتشوق لمعرفة أسباب حدوث الأشياء؛ لذلك جاء في الآية الكريمة تقديم السبب في قوله: "أن تضل" على المسبب له في قوله: "فتذكر إحداهما الأخرى"، إذ إن ترتيب الآية يكون كالآتي: فتُذكر أحدهما الأخرى أن تضل، غير أنّ التقديم هنا من باب الاهتمام والعناية بنفس المتلقي الموجه إليه الخطاب!، والذي فيه دلالة على أنّ الله عليم بنفوس عباده، وقد عدّ اِبن عطية هذا الضرب من التقديم والتأخير، من أبرع ضروب الفصاحة!، وقد وافق الزمخشري اِبنَ عطية في هذا التوجيه، حيث يقول:" لّما كان الضلال سببا للإذكار، والإذكار مسببا عنه!، وهم يترلون كل واحد من السبب والمسبب مترلة الآخر لالتباسهما واتصالهما!، كانت إرادة الضلال المسبب عنه الإذكار إرادة للإذكار، فكأنّه قيل: إرادة أن تذكر إحداهما الأخرى إن ضلت، ونظيره قولهم: أعددت الخشبة أن يميل الحائط فأدعمه، وأعددت السلاح أن يجيء عدو فأدفعه"[1].

خامسا: السبق في الوجود

1- جاء في حديث اِبن عطية، عن تفسير قوله تعالى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُماتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ}[2]، ما نصه:" والبادي من هذا الترتيب، أنّ السماء خلقت من قبل الأرض، وقد حكاه الطبري عن قتادة، وليس كذلك؛ لأنّ الواو لا ترتب المعاني، والذي ينبني من مجموع آي القرآن: أنّ

[1]- الزمخشري، الكشاف، ج1، ص326.

[2]- سورة الأنعام، الآية 1.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة:2020 الصفحة: 82–122 تاريخ النشر: 23–03–2021

الله تعالى خلق الأرض و لم يدحها، ثم اِستوى إلى السماء فخلقها، ثم دحا الأرض بعد ذلك"[1].

يذكر لنا اِبن عطية في هذه الآية سبب تقديم ذكر السموات على ذكر الأرض، حيث ذكر عن قوم بأنّ سبب التقديم هو العامل الزمني، أي أنّ السماوات خلقت قبل الأرض؛ فلذلك قدّمها في اللفظ، وقد نقل هذا القول عن الطبري، الذي نسبه إلى قتادة، وذهب إليه أكثر المفسرين، كالشوكاني الذي قال فيه:" وجمع السماوات لتعدد طباقها، وقدمها على الأرض؛ لتقدمها في الوجود"[2]، ولكن ابن عطية لم يرتض هذا التوجيه، ويرى أنّ الأرض سابقة في الوجود على السماوات، وإنّما سبقت السموات الأرض في أنّه دحاها[3] أولا؛ فعلى هذا قُدمت السموات على الأرض من ناحية الدحى لا الوجود، إضافة إلى أنّ الواو في الآية لا تقتضي الترتيب، حتى نقول: إنّ هذه أسبق من تلك، وقد وافقه في ذلك السيوطي[4]، ومن هنا نرى دقة ابن عطية وتمحيصه، وأنّه ليس مجرد ناقل فحسب!.

سادسا: تقديم الأكثر

[1]– ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز، ج2، 265.

[2]– الشوكاني، الفتح القدير، ج2، ص112.

[3]– ومعنى دحاها، بسطها. يُنظر: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجلال الدين السيوطي، تفسير الجلالين، تحقيق: عبد الرحمان المباركفوري، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، 1430هـ/2009م، ص 595.

[4]– يُنظر: المرجع السابق، ص790.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة:2020 الصفحة: 82–122 تاريخ النشر: 23–03–2021

1- جاء في تفسير قوله تعالى: {كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنا تُرْجَعُونَ}[1]، ذكر سبب التقديم والتأخير في الآية، حيث يقول ابن عطية: "وقدّم الشر لأنّ الابتداء به أكثر، ولأنّ العرب من عادتها أن تقدم الأقل والأردى!، فمنه قوله تعالى: "لا يغادر صغيرة ولا كبيرة"، ومنه قوله تعالى: "فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات" فبدأ في تقسيم أمة محمد بالظلم"[2].

يُرجع ابن عطية سبب تقديم الشر على الخير في الآية، إلى أنّ من عادة العرب تقديم الكثرة والرداءة!، وتؤخر الشيء الفاضل والقليل، وقد استدل على ذلك بهذه الآية، وما ورد في بعض الآيات، كسورة الكهف، وسورة فاطر، حيث وافق أكثر البلاغيين والمفسرين ابن عطية، في الآية الأخيرة، إلى أنّ سبب تقديم الظالم على المقتصد والسابق، إلى الكثرة، حيث يقول الشوكاني: "وجه التقديم هنا أن المقتصدين بالنسبة إلى أهل المعاصي قليل، والسابقين بالنسبة إلى الفريقين أقل قليل، فقدّم الأكثر على الأقل"[3]، وأيضا قيل في تفسير قوله تعالى:" فمنكم كافر ومنكم مؤمن"، حيث يقول الشوكاني: " وقدّم الكافر على المؤمن؛ لأنّه الأغلب عند نزول القرآن"[4]، وقد أورد ابن الأثير هذه الآية وعلّق عليها بقوله: "وإنما قدّم الظالم لنفسه للإيذان بكثرته، وأنّ معظم الخلق عليه، ثم أتى بعده بالمقتصدين؛ لأنّهم قليل بالإضافة إليه، ثم أتى بالسابقين وهم أقل من القليل أعني من المقتصدين؛ فقدم الأكثر، وبعده الأوسط، ثم ذكر الأقل آخرا!"[5].

[1]- سورة الأنبياء، الآية 35.

[2]- ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز، ج4، ص81.

[3]- الشوكاني، فتح القدير، ج4، ص402.

[4]- المرجع السابق، ج5، ص281.

[5]- ضياء الدين ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج2، ص43.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة:2020 الصفحة: 82–122 تاريخ النشر: 23–03–2021

2- جاء عند اِبن عطية في تفسير قوله تعالى: {الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ واحِدٍ مِنْهُما مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِما رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذابَهُما طائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ}[1]، ما نصه: "وقدمت الزانية في اللفظ من حيث كان في ذلك الزمن زنى النساء أفشى!، وكان لأمراء العرب وبغايا الوقت رايات، وكن مجاهرات بذلك، وإذا العار بالنساء ألحق إذ موضعهن الحجبة والصيانة!، فقدم ذكرهن تغليظا واهتماما"[2].

يعرض اِبن عطية في هذه الآية، سبب تقديم الزانية على الزاني، حيث يُرجع ذلك إلى أنّه ملازم للمرأة أكثر منه إلى الرجل!، وإلى أنّ لحوقه بالمرأة أقرب منه إلى الرجل!، ويُضيف إلى ذلك دلالة الاهتمام والتغليظ عليهن، وقد وافقه البيضاوي في ذلك، حيث يقول: "وإنّما قدّم الزانية؛ لأنّ الزنا في الأغلب يكون بتعرضها للرجل وعرض نفسها عليه!؛ ولأنّ مفسدته تتحقق بالإضافة إليها"[3]، وهذا ما هو ملاحظ إذ أكثر الزنى واقع برغبتهن وتساهلهن في مخالطة الرجال!، وإلّا فإنّ الرجل لا يتجرأ على هذا الفعل الفاحش إلّا برضا المرأة وتساهلها!، وهذا نظير ما يقع في السرقة، في قوله تعالى: "والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما"[4]، حيث قدّم الذكر على الأنثى، إذ إنّ أكثره يقع من الرجال!؛ لأنّهم أقدر من النساء على القيام بهذا العمل!؛ لأنّه يحتاج إلى قوة وحركة، وهذا ما لا يوجد عند النساء في الأغلب الأعم!، ومن ذلك ما قيل في تقديم الإناث، في

[1]- سورة النور، الآية 2.
[2]- اِبن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز، ج4، ص161.
[3]- البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج4، ص98.
[4]- سورة المائدة، الآية 38.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة:2020 الصفحة: 82–122 تاريخ النشر: 23–03–2021

قوله تعالى: "يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور"[1]، حيث ذكروا أنّ سبب تقديمهن راجع لكثرتهن!، حيث يقول في ذلك البيضاوي: "ولعل تقديم الإناث؛ لأنها أكثر لتكثير النسل!"[2].

وبعد، فهذه هي المواضع التي ذكرها اِبن عطية في تفسيره، فيما يتعلق بالتقديم والتأخير، من النوع الثاني الذي تقدّم فيه لفظ على لفظ دون أن يكون عاملا فيه، وقد بلغت مواضع التقديم والتأخير في هذا القسم ثلاثة عشر موضعا، وهي مقسمة على النحو الآتي: ثلاثة في دلالة الاهتمام صرّح بها كلها، وأمّا دلالة رؤوس الآي فجاءت في موضعين، صرّح بها في الموضعين مع ذكر مثال في واحدة منها، أمّا دلالة التشريف فصرّح بها في الأربعة مواضع التي ذكرت، في حين جاءت دلالة استشراف النفوس ودلالة سبق الوجود في موضع واحد لكل منها، مصرّحا بهما، وأمّا دلالة تقديم الأغلب فجاءت في الموضعين مصرّحا بهما، مع تعزيز ذلك بمثالين من القرآن في موضع أحدهما.

4. الخاتمـــة:

نخلص مما سبق، إلى أنّ هذه هي طريقة اِبن عطية في ذكر الأسرار البلاغية في تفسيره، لم يغفل عنها، خاصة ما تعلق بالتقديم والتأخير، وما تولد عنهما من دلالات!، ما كان لها أن تكون لولا هذا العدول، وفي الوقت نفسه نراه لم يكثر من تخريجاته تلك!، ومن هنا لا يُعد تفسير اِبن عطية من جملة التفاسير التي توسعت كثيرا في فن البلاغة.

– رغم عدم توسع اِبن عطية بالبلاغة كثيرا!، وخاصة فيما تعلق بمبحث التقديم والتأخير، مقارنة بكتب التفسير المشرقية، كالألوسي والزمخشري، إلى أنّ كثيرا ممن جاء

[1]– سورة الشورى، الآية 49.

[2]– البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج5، ص84.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة:2020 الصفحة: 82–122 تاريخ النشر: 23–03–2021

بعده نقل عنه بعض التخريجات البلاغية!، وخاصة علماء المغرب الإسلامي، كالقرطبي وأبي حيان والثعالبي، وهذا لمكانة هذا التفسير في هذا القطر، بل تجاوزه إلى المشارقة!؛ مما يدلنا على علو منزلة هذا التفسير في العالم الإسلامي بأكمله، فهذا الشوكاني، وهو من المشارقة، نجده في تفسيره متأثرا كثيرا بآراء اِبن عطية، وهذا بشهادة أحد الباحثين، حيث يقول:" لقد تأثر الشوكاني في تفسيره، فتح القدير بمسائل بلاغية عدة، بابن عطية في تفسيره المحرر الوجيز، فكان للمحرر الأثر الواضح في هذا الجانب، كيف والشوكاني يعترف في كثير من المواطن في تفسيره، إذ يذكر اِسم شيخه اِبن عطية صراحة، ويتبعه بنقل نصه في تلك المسائل، وتارة لا يصرح!"[1].

– نلاحظ أنّ اِبن عطية، غلب عليه في هذا الباب ما مشى عليه المتقدمون، حيث إنّهم يذكرون موضع التقديم والتأخير، دون ذكر الدواعي والأسرار والتوسع فيها، ويكتفون فقط بمصطلحي، "العناية" و "الاِهتمام"!، ومنه نستخلص أنّ المفسر قد غلبت عليه الدراسة النحوية في هذا المبحث، في حين نجد في بعض المواضع ذكرا للتقديم والتأخير، ولكنّه لا يذكر الغرض منه!، وهذا كثير جدا!، مثل ما جاء في قوله تعالى:" يوم تشّقق الأرض عنهم سراعا"، حيث أشار إلى تقديم الجار والمجرور وذكر الخلاف فيمن جوّز ومن لم يجوز، وأغفل ذكر فائدة ذلك!.

– ذكر ابن عطية النوعين جميعا، ما تقدم اللفظ على عامله، وما تقدم لفظ على آخرَ غير عامل فيه، بل تعدّاه إلى ذكر الدلالة التي يفضي إليها أسلوب التقديم والتأخير.

[1]– محمد علوان، المحرر الوجيز وأثره في الدراسات البلاغية، رسالة دكتوراه، جامعة الخرطوم، السودان، سنة 1991م، ص412.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة:2020 الصفحة: 82–122 تاريخ النشر: 23–03–2021

– بلغت مواضع التقديم والتأخير في تفسير ابن عطية بمجموعها ثمانية عشر موضعا، منها: خمسة مواضع فيما تقدم فيه لفظ على عامله، مع ذكر دلالتين فحسب!، وأمّا ما تقدم فيه لفظ على آخر غير عامل فيه، فبلغت ثلاثة عشر موضعا.

– أكثر المواضع التي أشار فيها إلى التقديم والتأخير صرّح بدلالاتها، إلّا في ثلاثة منها ذكرها إمّا بالمثال، وإمّا الإحالة إلى موضع آخر!.

– بلغت مجموع الدلالات التي ذكرها ابن عطية سبع دلالات فحسب!، اثنان فيما تقدم فيه المعمول على العامل، وهما دلالة الاهتمام والاختصاص، وست دلالات فيما تقدم فيه لفظ على آخر غير عامل فيه، وهم: دلالة الاهتمام، مناسبة رؤوس الآي، التفضيل والتشريف، الاستشراف، السبق في الوجود، تقديم الأغلب.

– أكثر المواضع التي أشار إلى التقديم والتأخير فيها، نقلها عن أبي إسحاق الزجاج دون أن يصرح بذلك!.

– لم أعثر على كتاب مختص في فن البلاغة، ذكره، أو أحال إليه!، سوى كتابِ نظم القرآن للجرجاني، الأمر الذي جعل تفسيره وباقي تفاسير موطنه، بعيدة –نوعا ما –عن فني البيان والمعاني!، وهذا ما أكدّه ابن خلدون!.

ومنه نخرج بالتوصيات التالية:

– يحوي تفسير اِبن عطية بعض المباحث البلاغية، وهي جديرة بالاِهتمام والدراسة، قمت بدراسة جانب منها في علم المعاني متعلق بمبحث التقديم والتأخير، ولكن هناك مباحث أخرى في علم المعاني، كالحذف والإنشاء وغيرهما، وهي جديرة بأن تبحث، قصد معرفة هل توسع فيها ابن عطية أم لا؟!، أم أنّ جميع المباحث البلاغية سار فيها على نسق واحد من عدم التوسع، وذكر الفوائد البلاغية.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة:2020 الصفحة: 82–122 تاريخ النشر: 23–03–2021

– إبراز الدور الكبير الذي أدَّاه تفسير اِبن عطية، والأثر الذي كان واضحا في التفاسير التي ألفت بعده، سواء أكانت مغربية أم مشرقية.

– ومن أبرز التوصيات التي أوصي بها، إحصاء النقولات التي نقلها اِبن عطية عن الزجاج و لم يصرّح بها!، وهي كثيرة جدا!، تحتاج إلى بحث مفصل أيضا.

5. المراجـــع

– القرآن الكريم، رواية حفص عن عاصم.

– أبو إسحاق الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، 1408هـــ/ 1988م.

– أبو البركات الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، المكتب العصرية، بيروت، الطبعة الأولى، 1424هـــ/2003م.

– أبو بكر عبد القاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1413هـــ/ 1992م.

– أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، الطبعة (غ م)، 1420هـــ/2001م.

– أبو عبد الله محمد بن أحمد شمس الدين القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، 1384هـــ / 1964م.

– أبو الفتح ضياء الدين ابن الأثير الكاتب، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة (غ م)، 1420هـــ/2000م.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة:2020 الصفحة: 82–122 تاريخ النشر: 23–03–2021

– أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، 1371هـ/1952م.

– أبو السعود العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، 1990م.

– أبو سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1418هـ.

– أبو سنان الخفاجي الحلبي، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1402هـ/1982م.

– أبو القاسم جار الله الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1407هـ.

– أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي المحاربي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1422هـ.

– أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، دار نهضة مصر، القاهرة، 1978م، نسخة .pdf

– أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، 1399هـ/1979م.

– بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، 1376هـ/1957م.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة:2020 الصفحة: 82–122 تاريخ النشر: 23–03–2021

– جلال الدين القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثالثة، 1953م.

– جلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجلال الدين السيوطي، تفسير الجلالين، تحقيق: عبد الرحمان المباركفوري، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، 1430هـ/2009م.

– خالد بن محمد بن إبراهيم العثيم، الأسرار البلاغية للتقديم والتأخير في سورة البقرة، دراسة تطبيقية، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1418هـ/1998م.

– خليل أحمد عمايرة، في نحو اللغة وتراكيبها، منهج وتطبيق، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة الأولى، 1984م.

– الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، 1412هـ.

– رُسْل عباس محمد شيروزة، البحث الدلالي في تفسير ابن عطية، أطروحة ماجستير، جامعة الكوفة، العراق، ربيع الأول 1432هـ/ 2011م.

– سامي عطا حسن، التقديم والتأخير في النظم القرآني الكريم بلاغته ودلالاته، عمان، الأردن، مجلة دراسات، المجلد 37، العدد2، سنة 1431هـ/2010.

–سليمان الطوفي، الإكسير في علم التفسير ، تحقيق: عبد القادر حسين، دار الأوزاعي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1409هـ/ 1989م.

– شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1415هـ.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة:2020 الصفحة: 82–122 تاريخ النشر: 23–03–2021

– عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، دمشق، الطبعة الأولى، 1425هـ/2004م.

– عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1408هـ/ 1988م.

– فاضل السامرائي، التعبير القرآني، دار عمار، عمان، الطبعة الرابعة، 1427هـ/2006م.

– فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، دار الفرقان للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الرابعة، 1417هـ/1997م.

– كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم ابن الزملكاني، البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، تحقيق: أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، مطبعة العاني، بغداد، الطبعة الأولى، 1964م.

– مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، القاموس المحيط، تحقيق: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الثامنة، 1426هـ /2005م.

– محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، فتح القدير، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى، 1414هـ.

– محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، الطبعة (غ م)، 1984م.

– محمد علوان، المحرر الوجيز وأثره في الدراسات البلاغية، رسالة دكتوراه، جامعة الخرطوم، السودان، سنة 1991م.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة:2020 الصفحة: 82–122 تاريخ النشر: 23–03–2021

– محمد ناصر الدين الألباني، السلسلة الضعيفة، دار المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، 1412هـ/ 1992م.

– مسلم بن الحجاج النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة (غ م)، (د ت).

– موسى إبراهيم، تأملات قرآنية، دار عمان، الأردن، 1989م، نسخة pdf.